

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب

وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمُحَقِّقُونَ وَرَأَوْا أَنَّ الْخَفْضَ عَلَى الْجَوَارِ لَا يَحْسَنُ فِي الْمَعْطُوفِ لِأَنَّ حَرْفَ الْعَطْفِ حَاجِزٌ بَيْنَ الْأَسْمِينَ وَمُذْطَلِّلٌ لِلْمَجَاوِرَةِ نَعَمْ لَا يَمْتَنِعُ فِي الْقِيَاسِ الْخَفْضُ عَلَى الْجَوَارِ فِي عَطْفِ الْبَيَانِ لِأَنَّهُ كَالْنَعْتِ وَالتَّوَكِيدِ فِي مَجَاوِرَةِ الْمُتَبَوِّعِ وَيَنْبَغِي امْتِنَاعُهُ فِي الْبَدَلِ لِأَنَّهُ فِي التَّقْدِيرِ مِنْ جُمْلَةٍ أُخْرَى فَهُوَ مَحْجُوزٌ تَقْدِيرًا وَرَأَى هَؤُلَاءِ أَنَّ الْخَفْضَ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَطْفِ عَلَى لَفْظِ الرُّؤُوسِ فَقِيلَ الْأَرْجُلُ مَغْسُولَةٌ لَا مَمْسُوحَةٌ فَأَجَابُوا عَلَى ذَلِكَ بِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَسْحَ هُنَا الْغَسْلُ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ حَكَى لَنَا مَنْ لَا يُتَّبَعُهُمْ أَنَّ أَبَا زَيْدٍ قَالَ الْمَسْحُ خَفِيفُ الْغَسْلِ يُقَالُ مَسَحْتُ لِلصَّلَاةِ وَخُمُتِ الرِّجْلَانِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَغْسُولَاتِ بِاسْمِ الْمَسْحِ لِيَقْتَصِدَ فِي صَبِّ الْمَاءِ عَلَيْهِمَا إِذَا كَانَتَا مَطْنُذَةً لِلْإِسْرَافِ وَالثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا الْمَسْحَ عَلَى الْخَفِينِ وَجَعَلَ ذَلِكَ مَسْحًا لِلرَّجْلِ مَجَازًا وَإِنَّمَا حَقِيقَتُهُ أَنَّ مَسْحَ لِّلْخَفِ الَّذِي عَلَى الرَّجْلِ وَالسُّنْدُ بِإِيَّاسٍ ذَاتُ ذَلِكَ .

وَيَرْجَحُ ذَلِكَ الْقَوْلُ ثَلَاثَةً أَمُورَ أَحَدُهَا أَنَّ الْحَمْلَ عَلَى الْمَجَاوِرَةِ حَمْلٌ عَلَى شَاذٍ فَيَنْبَغِي صَوْنُ الْقُرْآنِ عَنْهُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا حَمَلَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ الْعَطْفُ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَيْدِي فَيُلْزَمُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْمُتَعَاطِفِينَ بِجُمْلَةٍ أَجَنْبِيَّةٍ وَهُوَ (وَآمَسَّحُوا بِرءُوسِكُمْ) وَإِذَا حَمَلَ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الرُّؤُوسِ لَمْ يُلْزَمِ الْفَصْلُ بِالْأَجَنْبِيِّ وَالْأَصْلُ أَنَّ لَا يَفْصَلُ بَيْنَ الْمُتَعَاطِفِينَ بِمُفْرَدٍ فَضْلًا عَنِ الْجُمْلَةِ الثَّلَاثِ أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ حَمْلٌ عَلَى الْمَجَاوِرِ